

## أدب النضال في الشعر السعودي الحديث

الدكتور عبد الوحيد شيخ\*

وقد حكم الاستعمار كثيرا من بلاد العرب والعجم من قبل بريطانيا أو روسيا أو فرنسا، وبلغ نفوذهم إلى معظم البلاد العربية المجاورة لنجد والحجاز، ولكن الله صان بلاد الحرمين الشريفين من سيطرتهم إذ لم يكن للمستعمرين مطامع وأهداف في نجد فهي صحراء ويعيش أهلها في فقر وبؤس من الحياة الضنكة، فينتشر فيها الجهل وأهلها منشغلون في الحروب والقتال فيما بين القبائل المختلفة بينما الاستعمار يوجه عنايته إلى المناطق الخصبة ذات الثروات الزراعية والاقتصادية طمعا للحصول على خيراتها، ولم يكن لمنطقة الحجاز أو نجد حينذاك من هذه الأمور حظ ولا نصيب. فسلمت نجد من أرجاس الاستعمار، ولكن الشعراء السعوديين شاركوا إخوانهم من بلاد أخرى في مهاجمة الاستعمار، وخاصة ما يتعلق بقضية فلسطين، قضية المسلمين الأولى، وقد أصدر بعض الشعراء دواوين مستقلة في قضية فلسطين. وهناك قضايا عربية وأخرى إسلامية مثل أفغانستان والعراق والشيشان والبوسنة والكويت اهتم بها الشعراء، ونددوا بالسياسة الأوروبية والأمريكية على وجه الخصوص.

فهذا النوع من الشعر يختص بالقضايا العربية وبالتنديد بالمستعمرين والتغني بالوحدة العربية ويعتبر هذا الصنف من الموضوعات الجديدة التي شغلت شعراء التجديد في زمان ابتليت فيه الأمة العربية بالاحتلال الأجنبي، فعملوا على جمع الهمم والعزائم لمواجهة أولئك المستعمرين لإجلائهم من أوطان المسلمين ولتحرير جميع البلدان من سيطرتهم.

وقد كان ولا زال لقضية فلسطين مكان الصدارة لاهتمام الشعراء بالقضايا العربية يقول حسن القرشي في قصيدة "اللاجئون":  
ألا سواتاه لما ندعي من الثأر من ذمة من وفاء

\* الجامعة الإسلامية للعلوم والتقنية.

نجعجع بالقول في كل حين      ويعجزنا الفعل يا للمجون  
ونهتف سوف نفك الإسار      ونحيي الديار ونحمي الذمار  
ولا يتبقى لنا من هتاف      سوف أننا يا أخي هازلون  
وأنا قد اصطلحتنا خراف      وأنا جميعا ضعاف ضعاف<sup>(1)</sup>

والقرشي أكبر الشعراء الحماسيين الذين عاشوا لقضية  
فلسطين فهو يرثي القتلى ويحرض الأحياء على أخذ الثأر من العدو  
الغاشم ويلعن العدو الغاصب وأعوانه:

ملاحم الحرب ميراث لنا أبدا

وسوف نلقي بإسرائيل في سقر<sup>(2)</sup>

وقضية فلسطين محور الشعر السعودي السياسي  
المعاصر لذلك فالشعر فيها أكثر من غيرها، فقد أصدر فيها  
القرشي ديوانين: "لن يضيع الغد" و"فلسطين وكبرياء  
الجرح"، وأصدر القنديل ديوان "نار" والبواردي ديوان "صفاة الإنذار"  
وهاشم عبد السلام حافظ ديوان "أغنيات الدم والسلام"  
وطاهر الزمخشري ديوان "من الخيام"، والدكتور عدنان علي  
رضا النحوي ديوان "الأرض المباركة" والدكتور زاهر الألمعي ديوان  
"نزيف الشهداء" وغيرها كثير.

وقد وصف الشعراء الوضع الراهن الذي يعيشه  
الفلسطينيون فهذا الشاعر محمد هاشم رشيد يقول في قصيدة  
"على أطلال الماضي":

يا قلب لا تبك التراث الفاني      فالدمع لا يروي صدى الضمآن  
ولنحي أحرارا فحسبك ذلة      سفح المدامع والخطوب روان<sup>(3)</sup>

ويتذكر الشاعر تاريخ الأمة المشرق وعهد المسلمين الزاهر  
ويخاطب الأمة بأن تفيق من نومها العميق وتقيم مجدها الذي بناه  
محمد صلى الله عليه وسلم. يقول الشاعر:

نمنا وقام الغرب في آثارنا      ينساب تحت الليل كالثعبان  
وبذلك فقدنا مجدنا وفخرنا      وابتلينا بالأهوال والأشجان  
وهنا يتفاءل الشاعر بأن الأمة ستفيق وتعيد ماضيها المجيد  
وسوف يخضع العالم للوائنا في شريعة القرآن. ولكن لا بد للأمة أن  
تبذل جهودها لتحقيق أهدافها وإلا فالأولى لها الموت من أن تعيش حياة  
الذل والهوان.

فإلى الأمام إلى الإمام فحسبنا      ما ضاع من ملك ومن سلطان  
لنكن كما كان الجدود أعزة      تعنو الوجوه لنا بكل مكان  
أو فلنمت شهداء إن يد الردى      أحنى علينا من يد العدوان  
فالموت أجدر تحت أفياء الظبي      من أن نعيش بذلة وهوان<sup>(٤)</sup>

وينقلب الفرخ والسرور بيوم العيد عند الشاعر إلى الحزن  
والاحترق عند ما يذكر حال أمته حيث وطأتها أقدام العدو الغاشم في  
أرضها ومعقل ديارها، ويتطرق الشاعر مع القدس إلى قضية لبنان  
وباكستان وآسيا الصغرى وإلى المسلمين عامة في العالم، يقول  
الشاعر من قصيدة "في موكب الأفراح"<sup>(٥)</sup>

قالوا: وهل للعيد من معنى وقد      عاث الدخيل ولج في الإفساد؟  
فالقدس ترزح تحت وطأة غاصب      فذر يدنس معقل الأسود  
وعلى ثرى لبنان مآثم أمة      ثكلى تحطمها رحي الأحقاد  
ويقلب باكستان جرح غائر      ما زال ينزف في ضلوع الضاد  
وبآسيا الصغرى شعوب مزقت      بالمخلب القاني وبالإلحاد

وهنا يغلب الرجاء على اليأس فإن المسلمين لو اتحدوا واتفقوا  
فيما بينهم فإنهم يصيرون أقوى الأمم على وجه الأرض فلا يتعرض  
لحقوقهم عدو ولا يطمع في إلحاق الضرر بهم ظالم.  
لما ادعت إسرائيل بأنها ستطلق القنبلة الذرية انبرى الشاعر إبراهيم  
الدامغ بالهجوم عليها:

أطلقها في فضاء الغدر نارا أطلقها  
واستبدي يا جذور البغي حمقا واقذ فيها  
وتواري في رداء الخزي عارا واكتبيها  
وتحدي راية السلم المنادي واضربيها<sup>(٦)</sup>

ويستنطق الشاعر صلاح الدين الأيوبي بأن يحدثه كيف وحد  
جيوشه عند ما انتصر على اليهود وحرر القدس من أرجاسهم :

صلاح الدين حدث كيف كانت      جيوشك في بشائر تدق<sup>(٧)</sup>

ويقول عبد الغني مأمون بري في قصيدة "المجد الضائع"  
بعد ما ذكر وقائع العرب وبطولاتهم، وأشار إلى بدر وأحد، والقادسية  
التي أبلى فيها المسلمون بلاء حسنا يتساءل فيقول:

فمن لي بمن يسعى بجيش عرمرم  
يهدد هذا الغرب بالصارم الهندي

ويفهم ذا الوغد الذي هو كامن  
على الضغن أن العرب من حجر صلد  
فلسطين يا مهد النبيين إنني  
لأشكو ولكن الشكاية لا تجدي  
لأنني أرى دين السلام مضيعا  
بزخرفة قد أذبلت نضرة الخد<sup>(٨)</sup>

والشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي أصله من فلسطين له دواوين كثيرة، خصّ شعره على تحريض المسلمين على التمسك بالأخلاق الفاضلة وعلى الجهاد لتحرير القدس يقول في قصيدة "فلسطين في ظلال القرآن"<sup>(٩)</sup> بعد ما تحدث عن فضل الجهاد وأنه يمنح للشهيد حياة وجنة ورضا ويقول:

لست من يندب الشهيد ولكن هو حق أن نندب الأحياء  
ثم يذكر الشاعر بأنه لا يبكي على تراب القدس بل يندب على  
فقد العقيدة ، فانحطت منزلة المسلمين واستغرب الشاعر بتمزق الملة  
إلى فرق وأحزاب بعد أن كانت يدا واحدة ثم يتوجه الشاعر بخطابه  
إلى الأمة ويذكرها بفضائلها وأنها مهبط الوحي ومسكن الأنبياء  
ومسرى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، ويشير الشاعر إلى  
كثرة الشهداء في أرض فلسطين، ولا بأس فهو الطريق الموصل لنيل  
المراد إذا أحببت أمة البقاء والحياة.

وكان العرب في صدر الإسلام وفي القرون المفضلة لا  
يستسيغون الحياة مع الذل والهوان ولكن المسلمين الآن يعيشون حياة  
الذل فإن هم أضعوا الأمس بلاد الأندلس فإنهم ما زالوا يفقدون قبلتهم  
الأولى .

فهذا الجرح أنكى وأشد، يقول الشاعر عثمان المحارب:  
أن تكن ضاعت بأمس قرطبة فجراء اليوم أنكى ألما  
هذه القدس غدت مستلبه أسلمتها كف أبطال الحمى  
يوشك الشاعر يهجو نسبه بين الساحات الأبية الحكما<sup>(١٠)</sup>  
وما أصاب المسلمين في الشيشان على يد قوات شيوعية من  
روسيا من قتل وإحراق وتشريد وحبس وتدمير قد أثار غضب  
الشعراء فنظموا القصائد في ذم العدو، يقول الشاعر سعد الرفاعي في  
قصيدة "نزيف الحرج" وبه سمى ديوانه:

نزيف الجرح في الشيشان بحر      ونار الحرب ويلات وذعر  
وصوت في سماء الحرب يعلو      أغيثوا مسلما يغشاه قهر<sup>(١١)</sup>  
وهي قصيدة طويلة تشتمل على ثلاثة وأربعين بيتا ذكر فيها  
الشاعر شيئا من تأريخ الإسلام المشرق ومجد المسلمين وعزهم  
ويستنجد من الأمة المسلمة ولكن مصيبتنا اليوم أننا في سبات طويل،  
وأننا ملنا إلى صداقة الأعداء واعتمدنا على الموائيق والعهود معهم  
ولكن العدو تمادى عند ما رأنا في غفلة عن أمرنا.

وكذا ينادي الشاعر حسين الكريبي من يغيثه ويعينه.  
يا عباد الله هل من مغيث      فسراييفو تكاد تضيع  
وكذا الشيشان تشكو بلاء      ضرها قتل وتلج وجوع<sup>(١٢)</sup>  
وللشاعر قصيدة بعنوان "أمة الإسلام" وهي جميلة جدا فقد  
فازت هذه القصيدة بالجائزة الثانية في إحدى مسابقات نادي جازان  
الأدبي، ولجمال هذه القصيدة وسلاستها فإني أحب أن أنقل بعض  
الآبيات منها يقول الشاعر:

أمة الإسلام هل      كلت سيوف المسلمينا  
أم ترى لانت فلم      تقرر رؤوس الغاصبينا  
أم هم الشجعان غابوا      في رعييل الأولينا  
أم لقينا العيش رغدا      فاستكنا ورضينا  
واستسغنا عيشة الذل      فلم نرفع جبيننا<sup>(١٣)</sup>

وهي قصيدة طويلة اكتفيت منها بهذا القدر فما أجمل هذا  
النفس الطويل لدى الشاعر وقدرته الفائقة حيث لا تستعصيه القافية،  
ويذكرنا الشاعر بتأريخنا المشرق وبأبطال المسلمين ويذم الاستعمار  
وأعدائه.

وعبد الرحمن العشماوي قد احترق قلبه بمأساة المسلمين في  
فلسطين وياحتلال العراق للكويت، فجعل الهدف الرئيسي لشاعريته  
إيقاظ المسلمين لاسترداد المسجد الأقصى وتحريضهم على جهاد  
العدو، فديوانه "يا أمة الإسلام" مليء بهذا الشعور فهو ينادي الأمة  
"يا أمة الإسلام" فليست قضية فلسطين للعرب فقط بل هي قضية  
الأمة الإسلامية جمعاء، يقول الشاعر:

بني الإسلام، أمتكم تنادي      وتبحث عن ميادين اتفاق  
ألستم تسمعون صراخ طفل      غدا في القدس مشدود الوثاق

ألستم تسمعون أنين تكلى تنفس عنه بالدمع المراق<sup>(٤)</sup>  
وقد صار القدس حكاية تحكي حنينه وكآبته للعالم كله،  
والعدو الذي احتله يشبه الذئب الذي لا يرحم ضعيفا ولا يعرف حرمة  
لأحد، ولا يعرف إلا البطش والافتراس:

وغدا القدس صفحة لحكايا مترجمة  
لا ترى فوق أرضه غير ذئب وجمجمة<sup>(٥)</sup>  
ثم يصور الشاعر خوف الأمة المسلمة وأنها تتشجع على  
الإقدام إذا قامت في وجه الغاصب مع أنهم عصابة قليلة.

أه من خوف أمة من ملاقاته شرذمه  
وهنا يتذكر الشاعر تاريخ الإسلام الذي يمثل ببطولات  
وأبطال قد عجز التاريخ أن يأتي لهم بمثال في الشجاعة، والقوة  
والإخلاص. فيتساءل الشاعر:

أين سعد وخالد والمثنى وعكرمه  
أين من صافحوا العلا بالأيدي المكرمة<sup>(٦)</sup>

وهكذا يتعلق الرجاء بتوحيد الأمة في صف واحد، فإذا تم  
ذلك فإنه يرجى لها النجاة والفوز والسعادة في الدنيا بين الأمم والفوز  
في الآخرة .

ومما تقدم يتبين أن الشعراء السعوديين في قضية فلسطين  
يدافعون عن الكرامة والإباء والهوية الإسلامية والعربية وعن  
المقدسات يدافعون عن ذلك كله قبل الدفاع عن المال والتراب  
محافظين على القيم والمثل والأمجاد ومستنكرين لهذه القضية وحائثين  
على إيجاد الحل الذي يكمن في الحرب والوحدة العربية والرجوع إلى  
دين الإسلام والتمسك بتعاليمه السمحة واستغلال سلاح النفط بمنع  
تصديره إلى الدول المتعاونة مع العدو.

ومن القضايا المعاصرة التي لقيت اهتماما كبيرا من قبل  
الشعراء في المملكة حرب الخليج في عام ١٤١١هـ-١٩٩١م، وقد  
أفرد لها الشعراء السعوديون مع غيرهم من شعراء العرب جانبا  
كبيراً من أشعارهم ولا عجب فإنهم من المتضررين بهذه الحرب  
مباشرة. وقد قام النادي الأدبي بالقصيم بجمع أكثر ما قيل في هذه  
الحرب وطبعته في ديوان "عندما تلتهب القوافي" كما قام محمد  
سلطان العتيبي بجمع كثير من قصائد هذه الأزمة في كتاب يجمع بين

القصائد الفصيحة والنبطية سماه "وطن وقافية". وللدكتور محمد العيد الخطراوي ديوان مستقل لهذه القضية سماه " تأويل ما حدث" من إصدارات النادي الأدبي بالمدينة المنورة, و مما قيل في هذه المناسبة. يقول الأستاذ الأديب عبد الرحمن بن عبد الله الملق من شعراء مدينة حائل:

جاء الشقيق إلى الشقيق يزوره بجيوشه من رقه النوام  
من هولها شعب الكويت تساءلوا ماذا جرى يا أمة الإسلام  
فأجابهم صوت المدافع هادرا تلكم حقوق الجار والأرحام<sup>(١٧)</sup>  
ثم يبين الشاعر حال الشعب الكويتي ويصور خوفهم وفزعهم  
من مهاجمة العدو، وأنهم فروا من وطنهم بأهلهم خوفا من بطش  
العدو.

كل يحضر للهروب بنفسه وبأهله من مأزق الألغام  
نحو الحدود تسابقوا وتدافعوا ما بين متهوك وطفل ظام  
وهذه الكارثة التي أصابت أهل الكويت لم تكن من أجنبي، بل  
من مسلم عربي مجاور، يقول الشاعر:

أحدى يدي تمكنت من أختها  
فتحطمت من قسوة الآلام

وهنا يتوجه الشاعر إلى الشعب الكويتي بخطاب لين وأنهم  
الجيران والأشقاء، وليسوا كعامة الجيران بل مثل الأهل والأعمام  
وحكام الكويت رمز التواضع وبناء حضارة ودعاة سلم.  
شعب الكويت صديقنا وشقيقنا جيراننا كالأهل والأعمام  
حكامهم رمز التواضع والحجا لم يثتهم عن ذا المقام السامي  
كانوا وما زالوا بناء حضارة ودعاة سلم في مدى الأزمان  
وقد كان للعاهل السعودي الراحل فهد بن عبد العزيز فضل  
في الدفاع عن الكويت وأهلها فأوى الهاربين وأجار المشردين ونصر  
المقاومين وهياً الرأي العام في العالم ضد هذه الجريمة التي ارتكبتها  
صدام حسين.

غزو الكويت جريمة مرفوضة الفهد قاومه بكل مقام  
هز الضمير العالمي بأسره هز الشعوب وسائر الحكام  
ثم يبشر الشاعر حكام الكويت بالنصر العاجل والعودة إلى  
بلادهم في عز وتمكين . ويدعو إلى التضامن الإسلامي وأن

المسلمين يجب أن يتحدوا ويتوجهوا بقوتهم إلى القدس لتحرير المسجد الأقصى مسرى ومعراج النبي صلى الله عليه وسلم الذي يدوسه اليهود بأخبت الأقدام وعاثوا فيه الفساد من القتل والدمار والتشريد ويقاومهم أطفال المسلمين بالحجارة.

لله أطفال الحجارة إنهم هزوا قلاع الغدر والأثام  
تأييدهم حق وفرض واجب بالروح والأموال والأقلام  
حتى يسودوا أرضهم وبلادهم رغم العدو بعزة وسلام  
وقد صور الشاعر في هذه القصيدة الواقع بما حدث فيه من  
أحداث مؤلمة، وبين الرأي الصحيح في هذه الكارثة بأسلوب رصين  
وعبارة جزلة تتدفق فيها عاطفة الشاعر الصادقة. وهذه المشاركة من  
هؤلاء الشعراء تدل على تفهمهم لتلك القضايا وإدراكهم لعمق تأثيرها  
في حياة المسلمين بين الأمم. هذه العواطف الجميلة وذلك الإحساس  
المرهف كل ذلك يكتب لهذه النخبة من الشعراء وقد خلد سعيهم هذا  
ذكرهم في صفحة التاريخ.

والخلاصة أن الشعراء السعوديين قد ساهموا في أدب النضال  
بألسنتهم وأقلامهم، ولم يفرقوا في هذا الشأن بين المسلمين وغيرهم  
من سائر الملل، فكلهم ظلمة وغواة حيث تعدوا على غيرهم ظلما  
وجورا، وقاموا تيارهم بأصدق تعبير وأخلص نية.

### الحواشي:

١. بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين ، ٢/٤٦١
٢. الحامد، د/عبد الله: الشعر الحديث في المملكة ص ٢٣٨
٣. الأعمال الشعرية الكاملة ص ١١٧
٤. المصدر السابق ص ١٢١
٥. المصدر السابق نفسه ص ١٥٨
٦. الخواجه: دريد يحيى: سوق الأدب والنقد في القصيم ص ١٦٨
٧. المصدر السابق ص ١٦٩
٨. ديوان: نفحات دار الهجرة ص ١٠٩- ١٩٨٧م. ص ١١٩
٩. ديوان " الأرض المباركة"، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط٥/١٤٠٧هـ
١٠. ديوان "بين فجر وغسق" ص ٥٥
١١. ديوان "نزيف الجرح" ص ٤٧
١٢. عزف على أوتار الحب من قصيدة "سراييفو" ص ٤٧

١٣. ديوان " عزف على أوتار الحب " ص ٤١-٤٣
١٤. ديوان " يا أمة الإسلام " قصيدة "متى يا فجر؟" ص ٩٦
١٥. المصدر السابق نفسه من قصيدة " عندما تتحرك الدموع " ص ١٠٢
١٦. المصدر السابق نفسه ص ١٠٣
١٧. الخليفة: خليفة بن سعد: شعراء سعوديون ٣/١١١ وما بعدها